● المقدمة

للمصطلح أهمية كبيرة في تحديد المعنى والمُراد من كلمة ما .. بحيث يصير التطابق بين الكلمة ومدلولها أمرًا لازمًا وضرورة لابد منها. وتُشير اللغة العربية في تعريفها لكلمة "الهُوية" إلى أنها ذلك اللفظ المُشتق من الضمير "هو" حيث المُصطلح يُشير بدوره إلى مفهوم ما يكون به الشيء "هو هو"، أي من حيث تشخصه وتحققه في ذاته وتميزه عن غيره.

فالذات هي ما يُسميه الفلاسفة بالهوية، فذات الإنسان هي هويته وهي كل ما يُشكل شخصيته من مشاعر وأحاسيس وقيم وآراء ومواقف وسلوك .. والتي عادةً ما تتشكل وتتأثر من خلال روافد ذلك الموروث الثقافي لمجتمعٍ ما.

تُعرف الثقافة• «بمفهومها العام من خلال المنظور الأنثربولوجي على أنها طريقة عيش الشعب بعينه أو ذلك النسيج المُكوّن من العقائد والمفاهيم والنظم والعادات وطرز الحياة السائدة في بقعةٍ مُحددة من الأرض .. ويُلخص المؤلف والفيلسوف المغربي "محمد عابد الجابري"• (١٩٣٦م.:٢٠١٠م.) معنى كلمة "ثقافة" بأنها ما نُعبر عنه اليوم بـ"الحضارة" فهي ليست البناء الفكري وحسب، بل أيضًا السلوك الفردي والمجتمعي وما يرتبط بهما من تقاليد وأعراف وأخلاق. وعلى المستوى الإنساني العام هي الأعمال الفكرية والفنية الخالدة، أي تلك الأعمال التي تُعبر عن موقف الإنسان إزاء الطبيعة وما وراء الطبيعة، إزاء نفسه ومصيره .. ومن منظور "سوسيوسياسي" ثمة من يرى أن "الثقافة" دلالة علي نضج أو تخلف سياسي أو اجتماعي.»[1]

وبما أن الثقافة العربية هي نتاج تراكم حضاري عريق يمتد إلى حوالي ما يزيد عن آلاف السنين. حيث اتخذت سماته اللغوية ناصية هُويتة حتي أضحت اللغة العربية عنوانًا لتلك الهُوية، لتأتي

• **الثقافة:** «الثقافة إذا نُسبت لشعب أو مجتمع ما كانت تعني مظاهر الحياة الإنسانية ـ المادية والروحية ـ تقدمًا أو تخلفًا بالمقارنة بالثقافات الأخرى .. وتعني بالنسبة للأشخاص حدة الذهن وبراعة الفهم وسعة المعرفة. أما أصل الكلمة في (لسان العرب) فيشف عن أن كل الاشتقاقات مأخوذة عن الثقافة: وهو حديد القوس أو الرماح يقَّوم بها الشيء المعوج وتثقيف الأمر أي تسويته بالثقاف. (بكسر القاف وفتح الثاء والفاء) بمعنى حذق وفهم. والتثقيف هو الرجل الحاذق الفاهم.»

مختار العطار ـ الفنون الجميلة .. بين المتعة والمنفعة ـ سلسلة دراسات في نقد الفنون الجميلة (٧) ـ الهيئة العامة للكتاب بالتعاون مع الجمعية المصرية لنقاد الفن التشكيلي ـ الكتاب السابع ـ ١٩٩٤م. ـ القاهرة ـ ص ٤٤

• **محمدعابد الجابري:** هو أستاذ الفلسفة والفكر العربي الإسلامي في كلية الآداب بـ"الرباط" . قام بتأليف ٣٠ كتابًا تدور حول العديد من قضايا الفكر .. كما يُعتبر من أهم مُفكري الأدب العربي المعاصر.

(١) مقالة بعنوان حوار المختلف والمتعدد .. أسئلة في ثقافة النخبة وثقافة الناس ـ الكاتب العراقي "عواد علي" ـ مجلة الجديد اللندنية ـ العدد (٣) إبريل ٢٠١٥م. ـ ص ٥٦

الديانة الإسلامية بعد ذلك بمثابة تأصيل لتلك الهوية لتنسج معهًا كيانًا صلبًا وراسخًا يرتبط كل منها بالآخر ويتشابك مع عادات ونظم وتقاليد وأعراف وأخلاق منطقتنا العربية، لتكون في مجموعها جذورًا ثابتة في نفس كل عربي حتي أصبحت تلك الأصولية• الثقافية بمثابة إرث تاريخي متوارث يتناقله الوجدان الفردي من السياق الوجداني الجمعي .. ومما لا شك فيه أنه ليس هناك أفضل من وجدان مُثقفي ومُبدعي الفنون والآداب في تلقي واستيعاب ذلك المورث ومن ثم صهره وإعادة صياغته في إبداعاتٍ فنية وثقافية .. وليس هناك أدل من الفنان التشكيلي في قدرته على التعامل مع تلك الأصولية الثقافية بما تحمله من موروث حضاري وبصري من خلال رؤية إبداعية ذاتية الطابع.

ألمت بالمنطقة العربية منذ أربعينيات (القرن العشرين الميلادي) وصولاً إلى الآن ..! العديد من رياح التغيير السياسي، والتي ألقت بظلالها على كثير من مناحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية بل والثقافية حتي صارت تلك الأحداث بمثابة مُستحداث طارئة تحمل معها ظروف معشية سيئة وواقع ثقافي وإبداعي مضطرب يرتبط بما كُتب له من سياقٍ عام لا يستطيع الخروج عنه ولا يستطيع التحليق إلا حيث سُمح له .. وتزامنًا مع تلك الأحداث كانت بداية ظاهرة هجرة فناني وكُتاب المنطقة العربية إلي "أوروبا" "وأمريكا" بحثاً عن فضاءٍ أكثر أتساعًا وقبولاً لإبداعاتهم الفنية الراغبة في التحرر .. مُتخذين من بلاد المهجرمُستقرًا لهم ولإبداعاتهم التي اتسمت بخصائص فريدة تُميزها عن غيرها. حتى أن بعض الشعراء على سبيل المثال اكتسبت أشعارهم مُسميات أدبية لما تميزت من سمات مُحددة وواضحة كـ"مدرسة المهجر"• التي كان على رأسها

• **الأصولية:** من الكلمة أصل Foundation وهي في اللغة: «ما يُفتقر إليه ولا يفتقر إلى غيره .. وشرعًا ما يبنى عليه غيره.» مراد وهبة ـ المعجم الفلسفي ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ ٢٠١٦م. ـ القاهرة ـ ص ٧٣. .. و«أغلب الظن أن الذي صك المصطلح الأفرنجي Fundamentalism هو رئيس تحرير مجلة اسمها New York Watchman Examiner في افتتاحية عدد يوليو ١٩٢٠م. حيث عرف الأصوليين بأنهم (أولئك الذين يناضلون بإخلاص من أجل الأصول.)» **..مراد وهبة ـ المعجم الفلسفي ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ ٢٠١٦م. ـ القاهرة ـ ص ٧٧.**

• **مدرسة المهجر:** سافر عدد كبير من أبناء الشعب السوري واللبناني إلى "أمريكا" في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي. وبعد أن استقرت فئة منهم في أمريكا الشماليّة وفئة أخرى في أمريكا الجنوبيّة، أسسوا الرابطة القلميّة والعصبة الأندلسيّة .. وقد أُطلق على تلك الرابطتين اسم "مدرسة المهجر".

الـشاعـر الـلبنانـي الـمُقيم بـ"أمـريـكا" "جـبران خـليل جـبران Gibran Khalil Gibran"• (١٨٨٣م.:١٩٣١م.)

ليس هناك شك في أن محاولة تفسير الإبداع الفني تُعد بمثابة الخوض في أسلاكٍ شائكة حيث تعددت مفاهيم الإبداع وتناثرت أشلاؤها حيث أصبح من الصعب وضعها في تعريفٍ مُحددٍ وجامع يستطيع أن يستوعب تلك الرؤي المختلفة لظاهرة الإبداع الفني .. فهي من حيث دلالة المعنى في اللغة العربية ما يأتي على قولهم: «أبْدعْتُ الشيءَ قولاً أو فِعلاً، إذا ابتدأتَه لا عن سابق مثال.»(١) .. أما إذا نظرنا إلي الإبداع من حيث المعني والمقصود في عصرنا الحالي وخاصة إن تناولنا علاقته بالمفهوم الشرقي والغربي وهو بيت القصيد في بحثنا .. سنجد أن على « مايبدو أن أصل كلمة إبداع Creativity بهذا الشكل قد ظهرت في "أوروبا" في عصر النهضة لتُشير إلي كل ما هو أصيل ومُبتكر ومُثمر .. وقد أدت مشكلة الاتفاق على تعريفٍ مُحدد للإبداع إلى النظر اليه كموضوعٍ غامض مراوغ أو كظاهرةٍ متبدلة لا يمكن تناولها بالدراسة، وبالرغم من أن الاعتقاد الشائع في المجتمع الغربي عن ارتباط الإبداع أو الابتكار بالصورة العلمية البراجماتية• Pragmatism والتجارية فإن المفهوم الشرقي للإبداع لا يزال يربط بينه وبين جذورة الروحانية والصوفية.»(٢)

.. وبناءًا على المُفارقة السابقة لمفهومي الإبداع الشرقي والغربي يمكن التكهن بواقع حال الفنان العربي حال سفره آنذاك (الأربعينيات وما يليها من عقود) إلى الغرب الأوروبي حيث تلك الصدمة الحضارية في بادئ الأمر بدءًا من معطيات اللغة وأنماط الحياة المدنية الحديثة وصولاً إلى الفكر والثقافة الأوروبية، والتي لا تنأى إلا بالتأثير بمعطياتها علي منهجية الإبداع الفني لديه .. وبما أن «الثقافة أسلوب الحياة بينما الحضارة بعض مقوماتها المادية والمعنوية. هكذا يكون لدى البشر في كل بقعة من الأرض عصر جديد على الدوام، عليهم أن يتكيفوا معه ويستحدثوا من أساليب الحياة ما يعينهم على مواجهة المتطلبات الجديدة. فمعنى (العصر) هو أفكاره ومبادؤه التي تسوده، وليس مجرد وجود زمني يُقاس بأعوامه وشهوره ودقائقه وثوانيه .. وعلى الخلفية الفكرية التي هي:

• **جبران خليل جبران:** كاتب وأديب ورسّام وشاعر لبناني في بلدة "بشري" اللبنانية، هاجر فيما بعد إلى الولايات المتحدة الأمريكية، حيث درس الفنون وانطلق في مشواره الأدبي. وقد أسس جبران برفقة عددٍ من الأدباء والكتاب الآخرين خارج أوطانهم أ ما عُرِفَ باسم "الرابطة القلمية" في إطار السعي لإحداث تجديد في الأدب العربي.

(١) http://www.baheth.info/all.jsp?term=أبدع بتاريخ ٢٩ إبريل ٢٠١٩م.

• **البرجماتية:** مذهب فلسفي ـ سياسي يعتبر نجاح العمل المعيار الوحيد للحقيقة، حيث التصرف من خلال النظر إلى النتائج العملية المُثمرة التي قد تؤدي إلي إقرارها.

(٢) ماجد موريس إبراهيم ـ الإبداع ونظام الحكم ـ كراسة شرفات (١) ـ سلسلة تصدر عن وحدة الدراسات المُستقبلية بمكتبة الإسكندرية ـ ٢٠١٦م. ـ الإسكندرية ـ ص ١١

العصر .. تجيء مطالبة الناس بأن يكونوا مبدعين ـ أي المعاصرين والحداثة ترتبط بالإبداع ـ أي ابتكار أنماط سلوكية تتكيف مع البيئة الجديدة .. والفن من أنماط السلوك الإنساني، تتغير أشكاله بتغير العصور.»[١]

ووفقًا لذلك المنظور تأتي فكرة « الحداثة عند الناقد والمؤرخ الفني الإنجليزي "هربرت ريد Herbert Read"• (١٨٩٣م.:١٩٦٨م.) مُشتقة انعكاس الثقافة الحديثة (أي أسلوب الحياة الحديثة) على الإبداع .. فإذا كان الفنان مُتوافقًا معها في الرؤية الحضارية وطريقة الإدراك والتفكير تغير أسلوبه الإبداعي بما تقتضيه الظروف المُستحدثة واتسم بالحداثة »[٢] .. ومن هنا نجد أنفسنا أمام ضرورة بحثية خاصية الطابع، حيث طرح ما يُسمى بإعادة قراءة لأعمال فنانين تشكليين عرب مارسوا فن الرسم بمختلف تقنياته ومدارسه على مدار عدة سنوات مُحاولين رصد ذلك التغير البادي علي تلك الأعمال المرسومة في مرحلةِ ما قبل السفر إلى بلاد المهجر ومرحلة المهجر .. مُتتبعين ذلك الأثر الفني سلبًا أو إيجابيًا.

.. ويمكن القول أن تعمد البحث لاختيار تلك الأعمال المرسومة دون غيرها من تقنيات فنون الجرافيك خاصةً أو التشكيلية عامةً يأتي لما في فنون الرسم من أهمية .. حيث أنها تُمثل حجر الزاوية وأساس العمل التشكيلي، فالرسم يُمثل تلك الأبجدية التي لا تستطيع كتابة جملة تشكيلية بدون فهم واستيعاب لقواعد تلك الأبجدية .. فتلك الشخبطات والخطوط الأولى لفن الرسم بمثابة شرارة البدء لأي عملٍ تشكيلي، والتي أستحالت أيضًا بقدرتها على التطور أن تَصير فنًا قائمًا بذاته، يقف كصرحٍ شامخ بين بقية الفنون التشكيلية .. ويُمكن القول أن جميع أجناس الفنون التشكيلية كان مَبعث نشأتها ووجودها تلك الرسوم السريعة أو الدرسات المُتأنية من خلال فنون الرسم، ثم صارت بتراكم التقنيات وتعددت الخامات إلى ما آلت عليه من مجالات الفنون التشكيلية الأخرى: تصويرًا أو طباعةً أو خزفًا أو نحتًا .. إلخ.

---

(١) مختار العطار ـ الفن والحداثة .. بين الأمس واليوم ـ دراسات في نقد الفنون الجميلة (٧) ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب بالتعاون مع الجمعية المصرية لنقاد الفن التشكيلي ـ الكتاب الأول/ يوليو/أغسطس/سبتمبر ١٩٩١م. ـ القاهرة ـ ص ٧، ٨

• **هربرت ريد:** مؤرخ للفنون وشاعر وناقد أدبي وفيلسوف .. اشتهر من خلال كتبه العديدة عن الفن والتي كان لها أثر كبير على دور الفن في التعليم. وأحد أوائل الكتاب الإنجليز الذين أبدوا اهتمامهم بالفلسفة الوجودية Existentialism.

(٢) المرجع السابق ـ ص ٢٧

كانت ولا زالت فنون الرسم بلا شك مجالًا خصبًا لعددٍ لا بأس به من فناني المهجر العرب• . حيث أرتأو فيها مُتنفسًا للتعبير الفني. بالإضافة إلى كونها تستطيع أن تقف مُنفردةً أو مُجتمعةً مع ما قد يمارسونه من مختلف فنون التصوير والطباعة الفنية أو غيرها من الفنون.

وقد تخير الباحث كلاً من الفنان العراقي "ضياء العزاوي" المُقيم بـ"لندن" والفنان السوري "يوسف عبدلكي" المُقيم بـ"باريس" لتلك الدراسة .. نظرًا لتقارب وتزامن نشأتهما ومن ثم تشابه الأحداث التي ألمت بأوطانهم الأم وكذلك تجاور حدود مهجرهما .. لنقف أكثر تحديدًا على مدى اختلاف أو تطابق تلك السمات الخاصة بإبداعهم الفني .. وذلك بعد محاولة مُشابهة بقية الظروف والعناصر المُؤثرة حتى يتثنى لنا الحصول على قراءة وقياسًا أكثر دقةً ووضوحًا لذلك المُتغير بعد تقارب ثبات بقية العوامل الأخرى.

● مشكلة البحث

ـ أي مدى يمكن تلمس ومقارنة سمات الهوية والأصالة الثقافية والسمات الخاصة للرؤية الإبداعية في إبداعات فنون الرسم لفناني المهجر في النصف الثاني من القرن العشرين حال تقارب بقية العوامل المؤثرة على أعمالهم ؟

● أهمية البحث

ـ يُمثل الموروث الثقافي للفنان أحد أهم مصادر أصالة التعبير في العمل الفني .. لذا كانت إعادة قراءة ذلك الموروث بخصائصه الظاهرة أو المُستترة بمثابة الأثر الواضح القابل للتتبع عن سمات الأصالة.

ـ تُعتبر دراسة التجارب الإبداعية وخاصة لفناني المهجر العرب وما صادفوه من تقلبات سياسية واجتماعية وثقافية وحضرية، من أكثر المتغيرات القابلة للرصد والتوثيق ولذلك لوضوح أثرها على النتاج الإبداعي عامة والتشكيلي خاصة.

ـ تكمن أهمية دراسة التجارب الإبداعية في الفنون التشكيلية خلال مراحل الأزمات السياسية والاجتماعية بالمنطقة العربية في كونها أحد أوجه التوثيق التاريخي المعاصر.

• **فناني المهجر العرب:** نذكر منهم علي سبيل المثال: الفنان العراقي المُقيم بـ"لندن": "ضياء العزاوي" والفنان السوري "يوسف عبدلكي" (المُقيم بـ"باريس") والفنان العراقي "فيصل اللعيبي" (المُقيم بـ"لندن") والفنان السوداني "إبراهيم الصالحي" (المُقيم بـ"إنجلترا") والفنان السوداني "محمد عمر خليل" (المُقيم بـ"أمريكا") والفنان المصري "ياسر نبايل" (المُقيم بـ"النمسا") .. وغيرهم.

● هدف البحث

ـ محاولة التأكيد على عمق جذور الثقافة العربية وروافده في شتى مناحي الإبداع وخاصة تلك ذات الصلة بمجالات الفن التشكيلي على الرغم من تباعد مؤثراتها على فناني المهجر العرب.

ـ محاولة تحديد مدى أهمية المُتغيرات السياسية والاجتماعية ومن ثم الحضرية الخارجية على النتاج الإبداعي المرسوم من خلال دراسة مقارنة لتجارب فنية لاثنين من كبار فناني المنطقة العربية تجمعها تشابه المُتغيرات وتقارب الظروف المُحيطة.

ـ محاولة إيضاح أثر ذلك التفاعل الحضاري أو الصراع الداخلي بين أصالة الثقافة والحداثة لفناني المهجر العرب على تطور أو اضمحلال النتاج الإبداعي في فنون الرسم.

● فروض البحث

ـ تأثرت التجارب الإبداعية العربية المُهاجرة بمناخ وخصائص حرية وحداثة فنون الأوروبية ما أدى إلى إتخاذ معادلاً بصريًا يجمع بين طرفي الحضارتين العربية والأوربية.

ـ على الرغم من تقارب ظروف الفنان العراقي "ضياء العزاوي" والفنان السوري "يوسف عبدلكي" (نموذجي البحث) الجغرافية والحضارية والسياسية والزمنية إلا أنه لازالت ذاتية الفنان ورؤيته الخاصة المحك الأساسي لقياس مدى التوازن بين أصالة وحداثة التجربة الإبداعية.

ـ يمكن تلمس أثر الجذور الثقافية المُستترة في أعمال فناني المهجر من خلال قراءة بعض المفردات التشكيلية وفق منهجية التطور الشكلي لأشكال ومفردات الفنون العربية المُتوارثة.

● حدود البحث

ـ منذ بداية تنامي ظاهرة الهجرة العربية **بمنتصف الستينات من القرن الماضي** إبان تصاعد حركات المعارضة السياسية والثقافية لبعض الأنظمة العربية الحاكمة آنذاك مع تحديد منطقتي **"سوريا" و"العراق"** كنموذجين يجمعهما صفة التقارب الجغرافي والحضاري والثقافي والسياسي والاجتماعي.

● منهج البحث

يعتمد البحث على المنهج الوصفي.

● الفنان العراقي المقيم بـ "لندن" "ضياء العزاوي" (١٩٣٩م.)

يُعتبر الفنان العراقي "ضياء العزاوي" المُقيم بـ"لندن" من أكثر فناني المهجر تنوعًا وغزارةً في إنتاجه الفني، ولعل ذلك مرجعه لتلك المؤثرات والأحداث المُتزامنة مع مسيرة حياته، والتى تبدأ منذ إلتحاقه بكلية الآداب بـ"بغداد" حيث درس علم الآثار ليُطالع ذلك الرافد الإبداعي الزاخر لحضارات بلاد الرافدين وما حولها منهيًا دراسته الجامعية عام ١٩٦٢م. .. تلك الدراسة الأثرية التى جوارها بدراسته الفنية في المرسم الحُر على يد الفنان العراقي "حافظ الدروبي Hafez El Daroubi"• (١٩١٤م.:١٩٩١م.)، ليغتنم في تلك السنوات فرصة التواصل مع رواد الثقافة والفنون مُتأثرا ومُشاركًا فى الحركة الفنية بـ"العراق".

ويُعبر الفنان "العزاوى" في لقاء صحفى عام ٢٠١٧م. قائلاً تلك الفترة قائلاً: «إنني من جيل أخذته الهوية بكل قدسيتها عبر إنجازات جيل الرواد وبالذات "جماعة بغداد•" إنجازات لم تختبر فعليًّا، على الصعيد العربي إلا مع بداية السبعينات، وقد تأخرت كثيرًا على الصعيد العالمي .. ومع التحولات التي أوجدتها ظروف الانفتاح السياسي والاجتماعى في تلك الفترة.»(١)

ويستطرد قائلاً حول بدايات تفاعله مع الثقافة الغربية فيذكر قائلاً: «هذه المناخات هي التي عززت قناعتي بضرورة ومدى أهمية المرجعية الثقافية أو الفنية، وعلاقتها بالتاريخ الجمعي للفنان، مع الانتباه لرفض القناعة الطارئة التي قد تُدغدغ روح الفنان عند مواجهة الجديد وإمكانية إلغاء مسارات أسلوبية لها بعدها الفعلي في عملية التغيير.»(٢)

● **حافظ الدروبي:** من رواد الفن التشكيلي المعاصر بـ"العراق"، لُقب بـ"رسام المدينة"، وذلك لتعلق أعماله بأحياء "بغداد". كما أسس مرسمًا حرًا في "العراق" عام١٩٤٢م.، قبل أن يُشكل جماعة "الانطباعيين العراقيين" عام ١٩٥٣م.، ويُصبح رئيسا لها.

● **جماعة بغداد:** هي **جماعة بغداد للفن الحديث** .. مجموعة فنية عراقية تأسست في "بغداد" على يد عددٍ من رواد الفن العراقي ومن أبرزهم "شاكر حسن آل سعيد" و "جواد سليم" و "محمد الحسني" في عام ١٩٥١م. وأخرون.

(١) مقالة بعنوان: "ضياء العزاوى" في بداية السبعينات .. ضاقت "بغداد" بنا لنجد في "بيروت" و"الكويت" مختبرًا للمواهبة مع الآخرين ـ الكاتب العراقى "خضير الزيدي" ـ مجلة الفيصل ـ عدد شهرى (مايو ـ يونيه) ٢٠١٧م. ـ تصدر عن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ـ الرياض ـ العددان (٤٨٧) (٤٨٨) ـ ص ١٦٣ ـ موقع المجلة (https://www.alfaisalmag.com/?p=5243)..
(اقتباس) بتاريخ ٢١ يناير ٢٠١٩م.

(٢) المرجع السابق ـ ص ١٦٣

ويمكن لنا من تلك السطور السابقة وضع تصور مبدئي عن علاقة المهجر بإبداعات "العزاوي" "على حد قوله ..! فقد هيأت له الأقدار فرصة الإنتقال إلى "لندن عام ١٩٧٦م. ومن ثم ليعمل بعدها في المركز الثقافي العراقي بـ"لندن" بين أعوام ١٩٧٧م. إلى ١٩٨٠م. تلك الفرصة التي وفرت له إعادة اكتشاف ما يُسمى "بكتاب الفنان"، والتي ألقت بظلالها على قدرٍ لا بأس من أعماله الفنية.

وبالعودة إلى مرحلة ما قبل المهجر يتضح لنا عمق مؤثرات الثقافة العراقية بموروثاتها وهويتها في أعماله، بالإضافة إلى إنشغاله بالصراع السياسي والعسكرى بالمنطقة العربية، حيث نلحظ إلتزامه بالتعبير عن مأساة القضية الفلسطينية، والتى ظلت على مدار مراحله الفنية من أكثر الموضوعات تناولاً وشغفًا.

.. ومن أعمال مراحله الفنية المبكرة (عام ١٩٦٧م.) ذات الصلة بالموروث الحضاري نشاهد إحدى تلك اللوحات المُعبرة عن قصص "ألف ليلة وليلة" والمُسماة أحيانًا بـ"الليالي العربية" مردفًا لاسم العمل رقم (١) ـ شكل (١) ـ للدلالة على ترتيبه ضمن مجموعة اللوحات ذات الصلة. حيث استقر على يمين العمل شخص جالس برداءٍ أسود يُمثل أحد أبطال قصة ("نور الدين المصري" و"مريم الزنارية") بينما استقر على يسار العمل فتاة شبه عارية تحوطها بعض الزخارف النباتية المُمتدة من أقصى يسار العمل .. والعمل في مُجمله يتميز ببساطة وانسيابية الخطوط المُعبرة عن الشخوص مع ميل واضح للإتجاه الزخرفي الذي تتضح سماته في تمثيل شعَرِ الفتاة ولحية الرجل والطائرين المُستقرين أسفل يسار العمل، هذا بالإضافة إلى تلك الزخارف الهندسية المُتناثرة على أحد الأبسطة .. وقد حاول "العزاوي" تأكيد هذا الحس التراثي لمُنمنات المدرسة العربية من خلال تلك العبارة المُقتبسة من قصة "ألف ليلة وليلة" والمكتوبة أسفل العمل بأسلوبٍ شديد الدوران والإنحناءات يُخالف المُتعارف عليه من قواعد وأصول الخطوط العربية.

.. ويمكن القول أن العمل يُمثل في مُجمله محاولة غير ناضجةٍ لمُحاكاة فنون المنمنمات وفنانيها أمثال: "يحيى الواسطي"• تلك المحاولات التي أضفت أثرًا واضحًا لروافد تراثية مباشرة تاركةً .. عُمقًا وملمحًا لا يُنكر.

• **يحيى الواسطي:** هو "يحيى بن محمود الواسطي" رسام وخطاط عربي مسلم ولد في بلدة "واسط" في جنوب "العراق" بداية القرن الثالث عشر الميلادي . من أشهر أعمال "مقامات الحريري" التي زينها برسومه.

شكل (١)

ـ لوحة "الليالي العربية (ألف ليلة وليلة)" للفنان "ضياء العزاوي"

ـ حبر صيني وألوان مائية على ورق

ـ مقاس ٥٢ سم x ٧٠ سم

ـ عام ١٩٦٧م.

ومن الأعمال التي تحمل سمات تجريدية صريحة وتجريبية في تلك المرحلة، نطالع عمله المرسوم المُسمى "مآساء كربلاء (٢)" ـ والذي يُقدم من خلاله رؤية أقرب ما تكون إلى الرؤية الملحمية، على الرغم من بساطة المعالجة وصغر حجم المسطح المرسوم (صفحة A4) حيث تتواصل وتتصل الخطوط المعبرة عن جيش الإمام "الحسين بن علي" في عدة مستويات، إذ تراصت رؤوس الأحصنة ـ حصانين أحداهما بالنصف العلوي والآخر في أقصى يمين منتصف العمل ـ والعتاد، ليتقدم ذلك الحشد عددًا من رؤوس الفرسان في الجزء السفلي والأيسر من العمل، وقد أمسك أحدهم بسيفه، بينما تصاعدت بعض الخطوط المزينة بالأهِلّة ورؤوس الرماح .. كما تناثرت بعض الزخارف الهندسية في أرجاء العمل لإثرائه ببعض التفصيليات المتنوعة، ولإضفاء ما يُشبه التوثيق التاريخي عمد الفنان "عزاوي" إلى تسجيل بعض أسماء المقاتلين بالقرب من رؤوسهم .. مُسجلاً أسفل العمل ذلك المشهد من خلال عدة كتابات كُتبت بطريقةٍ معكوسة كأنها عكست بواسطة مرآة.

.. وبنظرةٍ أكثر اتساعًا يمكن القول أن هذا العمل ومن على شاكلته في تلك المرحلة يُمثل إرهاصات ومحاولات جادة للتعبير الصادق من خلال التغيير الشكلي والتطور المتنامي فى معالجة مفردات

الموروث الحضاري الثرى والمتراكم .. وهذا ما نتلمسه من التداعي والاتساق العفوي للخطوط لتبدو للوهلة الأولى أقرب ما تكون إلى الرسوم العفوية• Doodles الصادرة من اللاوعي.

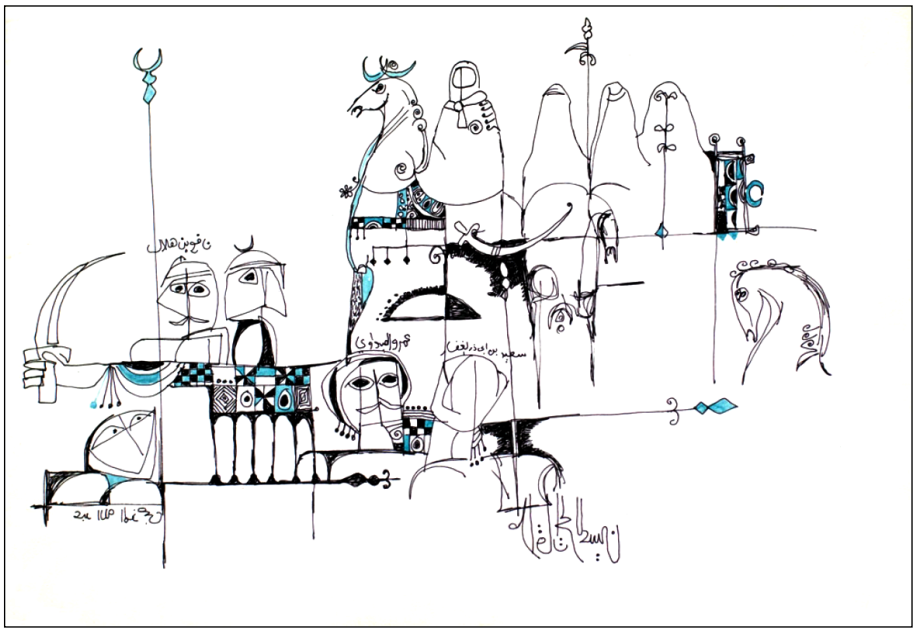

شكل (٢)

ـ لوحة "مآساة كربلاء (٢)" للفنان "ضياء العزاوي"
ـ حبر صيني على ورق
ـ مقاس٢٠ سم x ٣٠ سم
ـ عام ١٩٦٨م.

ولا يمكن لنا قراءة أعمال "العزاوي" بمنأى عن مُطالعة أحد أهم أعماله الصرحية والتي تُمثل وفق معطياتها نقطة تحول في مسيرته الفنية من حيث يجسد بعد فترةٍ تقارب السبع سنوات من بقاءه بالمهجر إحدى مآسي الشعب الفلسطيني مُجسدًا مذبحة "صبرا وشاتيلا"• إذ كان لأثرها المُباشر والمُؤلم ما حدا به للتعبير عن دوافعه الغاضبة خلال أشهر معدودة من تلك المآساة.

• **الرسوم العفوية:** أو الرسوم العبثية .. هي تخطيط يتم في أثناء الانشغال بأمور أخرى كالإصغاء إلى محاضرة أو محادثة هاتفية وغالبًا ما يتم على أوراق غير مُعدة للرسم.
(معجم مصطلحات الفنون الجميلة ـ إعداد لجنة ألفاظ الحضارة ـ مجمع اللغة العربية ـ ٢٠١٦م. ـ الطبعة الأولى ـ القاهرة ـ ص ١٧٧)

• **صبرا وشاتيلا:** عبارة عن مذبحة تم تنفيذها في مخيمي اللاجئين الفلسطينين المعروفين باسم "صبرا وشاتيلا" وذلك في ١٦إلى ١٨ سبتمبر ١٩٨٢م. على يد بعض المجموعات الانعزالية اللبنانية بالإضافة إلى الجيش الإسرائيلي.

فنراه يُقدم عملاً ضخمًا تقترب مساحته من ٢٢.٥مترًا مربعًا محاولاً أن يُحاكي به لوحة "الجيرنكا"• للفنان الإسباني "بابلو بيكاسو• Pablo Picaso" (١٨٨١م. :١٩٧٣م.) من منظور فني تتزاحم فيه شخوص الضحايا لتملئ فراغ العمل المُمتد في تداخل أسطوري بين رجالٍ ونساء وأطفال وعتاد عسكري بأسلوبٍ تجريدي ـ شكل (٣) ـ يحنو إلى تسطيح الأشكال وتكثيف الظلال السوداء المُعبرة عن الوجوه المُتألمة التي تداخلت وتراكمت حتى أضحت نسجيًا بشريًا تتنازعه صرخات وآلام القتلى.. ولعل تلك الأحداث المُتصارعة بالمنطقة العربية وذلك المناخ المُتحرر ببلاد المهجر قد أتاحا للفنان فرصة نادرة للتعبير الفني بتدفقٍ وتداعي مُتواصل لا يلتفت لحساب الدبلوماسية السياسية بين دول المنطقة العربية أو للنقد المُتأزم أوالمُسيس إن جاز التعبير.

ويذكر الفنان "العزاوي" عن ذلك العمل ما يُعد بمثابة إقرار ووثيقية لمكتسب انفتاح الفنان العربي على العالم الغربي إذ يقول: « بالنسبة لي هي جزء من تاريخي لا غير، إلا أن ضمها لمجموعة متحف ("متحف تايت للفنون Tate Art Museum" بـ"لندن") من أهم متاحف العالم أعطاها بعدًا إعلاميًا هائلاً .. كل هذا لا أجد فيه غير إخلاص روحي للموضوعي، وصدق في التعبير عن المجزرة التي أُرتكبت بكل نذالةً وهمجية فاشستية•.»(١)

• **الجيرنيكا:** Guernica هي لوحة زيتية ضخمة استوحاها من قصف الطائرات الألمانية والإيطالية المساندة لقوات القوميين الإسبان لمدينة "غرنيكا" الأسبانية في ٢٦ إبريل ١٩٣٧م. خلال الحرب الأهلية.

• **بيكاسو:** رسام ونحات وفنان تشكيلي إسباني وأحد أشهر الفنانين في القرن العشرين الميلادي كما يُعتبر من مؤسسي الحركة التكعيبية في الفن.

• **فاشستية:** مذهب سياسيّ واقتصاديّ تأُسِّس في "إيطاليا" يقوم على دكتاتوريّة الحزب الواحد وقمع المعارضة والتّعصّب القوميّ والعنصريّ وإعلاء شأن الحرب .. سميّت بهذا الاسم نسبة إلى منظّمة سياسيّة إيطاليّة تُدعى فاشستي أسِّست بين عامي ١٩٢٢م.:١٩٤٥م.

(١) مقالة بعنوان: "ضياء العزاوى" في بداية السبعينات .. ضاقت "بغداد" بنا لنجد في "بيروت" و"الكويت" مختبرًا للمواهبة مع الآخرين ـ الكاتب العراقى "خضير الزيدي" ـ مجلة الفيصل ـ عدد شهرى (مايو ـ يونيه) ٢٠١٧م. ـ تصدر عن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ـ الرياض ـ العددان (٤٨٧) (٤٨٨) ـ ص ١٦٦ ـ موقع المجلة (https://www.alfaisalmag.com/?p=5243)..
(اقتباس) بتاريخ ٢١ يناير ٢٠١٩م.

شكل (٣)

- لوحة "صبرا وشاتيلا" للفنان "ضياء العزاوي"
- حبر صيني وخامات متنوعة على ورق موضوع على توال
- مقاس ٣٠٠ سم x ٧٥٠ سم
- عام ١٩٨٢/١٩٨٣م.

ورغبةً من الباحث في توضيح ذلك التطور المُتنامي في أعمال الفنان "العزاوي" نُعيد مُشاهدة أحد أعماله المُعبرة عن قصة "ألف ليلة وليلة" .. حيث آثر الباحث تخير أحد المشاهد الجامعة لثنائية المُحبين ـ شكل (٤) ـ من باب المُقارنة مع سابقتها من الأعمال في سنوات ما قبل المهجر ـ أنظر شكل (١) للمقارنة ـ حيث تداخلت كتلتي المُحبيَّن البارزتين بالأبيض على خلفية العمل المشبعة بالتهشيرات السوداء، إذ تعاكس وتعانق وضعيهما في ذلك الفراغ الداكن، وكأنه سواد ظلمة الليل المُشبع بالنجوم المتلألئة .. ولإضفاء بعض سمات الشرق تناثرت الزخارف على جانبي العمل ذات طابع عضوي مكسبًا العمل المزيد من الإحساس بالمتنفس لخلفيته المُعتمة.

ونرى هنا كيف استطاع "العزاوي" التحرر من أساليب المنمنمات الإسلامية ذات الطابع التوصيفي لسردية النص، مُتخذًا من عفوية التجريدية الخطية مُرتكزًا لبناء العمل الذي يُذكرنا عند مطالعته للوهلة الأولى برسوم مشهد لقاء المحبين في قصيدة "الكوميديا الإلهية Divine Comedy"• للشاعر الإيطالي "دانتى أليجييري Dante Alighieri" (١٢٦٥م.:١٣٢١م.) مما يمكن تأويله على أنه ذلك الأثر المترسب في ذاكرة الفنان إبان مطالعاته الفنية والمتحفية في بلاد المهجر.

• **الكوميديا الإلهية:** من أهم وأبرز الملحمات الشعرية في الأدب الإيطالي العالمي التي تحتوي على نظرة تخيلية للآخرة وفق الديانة المسيحية، بالإضافة إلى الكثير من المعارف الفلسفية والتاريخية.

شكل (٤)

ـ لوحة "ألف ليلة وليلة (٧)" للفنان "ضياء العزاوي"
ـ حبر صيني على ورق
ـ مقاس ١٩ سم x ٢١ سم
ـ عام ١٩٨٦م.

ولم تقف حدود الفضول الفني لدى "العزاوي" عند تناول الموضوعات الإنسانية والقصص الأسطورية بل امتدت إلى الصياغات التشكيلية المُقتبسة من قصائد الشعر العربي الحديث لتقف على قدم المساواة مع القصيدة كإبداعٍ موازٍ يتجاوز وصفية الكلمة ومعانيها ليتخطاها إلى حيث الدلالات والمقاصد .. ومن الأعمال التي تتضح معها تلك السمات عمله المسمى "مجنون ليلى (١٧)" ـ شكل (٥) ـ والذي يستلهم فيه قصيدة الشاعر البحرينى "قاسم حداد"• ليجذب أبصارنا ذلك التكوين المربع لجسدِ فتاة جاسمة كالصخرة حيث ارتكنت بمرفقيها واضعةً رأسها بين كفيها، بينما تداخلت قدميها خلف ظهرها لتُحكم ذلك التماسك الصلب لكتلة الجسد المُمتد، ولإثراء تفصيليات الجسد عمد الفنان إلى تناثر بعض البقع الرمادية الفاتحة والتي أتت بمثابة تصويرًا لنقوش فستانها، وعلى الرغم مما قد يبدو للبعض من افتقاد العمل للمهارة والصنعة وعناصر الحبكة الفنية .. إلا أن الباحث يعتقد أن تلك البساطة والعفوية قد أفرزت عملاً فنيًا متميزًا يقترب في صياغته من الرسوم السريعة بالفرشاة وينافس بتماسكه ووحدته وتشبعه بذاته تلك الأعمال المُصطنعة بدقةٍ وإحكام.

• **قاسم حداد:** من مواليد ١٩٤٨م. شارك في تأسيس (أسرة الأدباء والكتاب في "البحرين"). كما شغل العديد من المراكز القيادية في إدارتها .. ترجمت أشعاره إلى عدد من اللغات الأجنبية.

ويمكن تفسير الأمر على أن تلك السمات الإبداعية المُتفردة لا تتأتي إلا بغزارة الممارسة الفنية وطول المران لسنواتٍ أشبعتها مطالعات وخبرات فنية مُتجاذبة استطاع "العزاوي" أن يُهيأ لنفسه ذلك المناخ وتلك الظروف التي تلازمت مع عزلته وتفرغه التام للإبداع الفني بمرسمه في "لندن".

شكل (٥)

- لوحة "مجنون ليلى (١٧)" للفنان "ضياء العزاوي"
- حبر صيني على ورق
- مقاس ٣٩ سم x ٥٤ سم
- عام ١٩٩٥م.
- مجموعة أرابيسك ـ لندن

وبمطالعةٍ أكثر اتساعًا لأعمال "العزاوي" ذات الطابع الدرامي .. تخير الباحث أحد تلك الأعمال المُعبرة عن صمود الشعب الفلسطيني (قطاع غزة نموذجًا) بأسلوبٍ مسرحي ـ شكل (٦) ـ حيث يُمثل دولة "فلسطين" على هيئة فتاة شامخة يعلو رأسها أكاليل الغار والحمائم المُحلقة في أقصى يسار العمل، بينما يقف على الجانب الآخر في أقصى اليمين حشد من مسوخ الكائنات، وقد اختلطت وتداخلت أجسادهم ووجوههم في كتلةٍ داكنة من الأحبار السوداء لتبرز من بين أيديهم أسنة الأسلحة المُوجهة إلى جسد الفتاة الصامدة .. ومن المُلفت في هذا العمل قدرة الفنان على الجمع بين الرمز والتجريد. فقد اتضحت تلك الرمزية في شخص الفتاة لتكون بمثابة إسقاطة عن "فلسطين" المُحتلة .. بينما تكاثفت سمات التجريد العضوي في التداخل الخطي المُعبر عن قوات الاحتلال. وقد استطاع

"العزاوي" أن يُضفي على عمله بعدًا رابعًا (الزمن) .. جاعلاً من المُشاهد بمثابة المُراقب المُنتظر لتلك اللحظات ولذلك المصير البطولي.

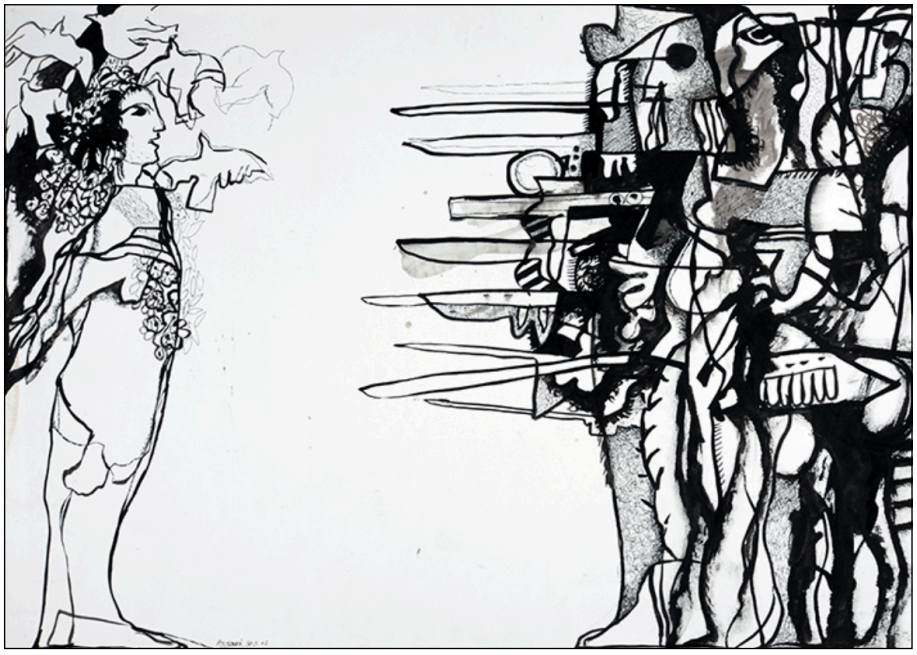

شكل (٦)

- لوحة "غزة" للفنان "ضياء العزاوي"
- حبر صيني على ورق
- مقاس ٥٠ سم x ٧٠ سم
- عام ٢٠٠٢م.

ويقدم الفنان "عزاوي" بأحد أعماله البانورامية الصرحية بعنوان "الحلم المكسور" عام ٢٠١٦م. ـ شكل (٧) ـ حيث تزاحمت شخوص العمل المتناثرة على سطحه في تناسق ملحمي تتداخل فيه الأشلاء البشرية مع الإيقاعات الخطية ذات الطابع العضوي في نسيجٍ متجانس تتصاعد بين ثناياه أسنة الخناجر المدببة كأبواقٍ تعلن نذائر الشؤوم والمأساة لتلك الصراعات المسلحة .. ولتأكيد تلك الأحاسيس المؤلمة اتخذت أوجه الأشلاء الإنسانية حيزًا لا بأس به من الهيمنة على مساحة العمل، بينما اكتست بتعبيرات ساكنة للدلالة على العجز والاستسلام أمام تلك الويلات والمآسي الملحمية .. ولعل هذا ما أثار رغبة الفنان "العزاوي" في تقديم العمل بالأبيض والأسود .. مبتعدًا قدر الإمكان عن المثيرات اللونية ولعل تلك الدافعية قد أتت لإغراق عين المتلقي في تتبعٍ وتفحص جميع التفصيليات المتناثرة بنفس الاهتمام والتأمل لتكوينٍ تتداخل به جميع الجزئيات في عراكٍ بصري لمفردات ذات طابع تجريدي عضوي.

شكل (٧)

ـ لوحة "الحلم المكسور" للفنان "ضياء العزاوي"
ـ أكريليك على ورق موضوع على توال.
ـ مقاس ١٠٠٠ سم x ٤٢٤ سم
ـ عام ٢٠١٥ ـ ٢٠١٦م.

● الفنان السوري المُقيم بـ"باريس" "يوسف عبدلكي" (١٩٥١م.)

وُلد الفنان" عبدلكي" في "القامشلي" بشمال شرق "سوريا" .. يُعتبر من أهم فناني الوطن العربي في وقتنا المعاصر، وذلك لتفرد وتميز أعماله بالبساطة التشكيلة والقوة التعبيرية. هذا بالإضافة إلى ثراء وغزارة إنتاجه الفني. وقد يبدو للوهلة الأولى أو للناظر لمسيرته الفنية الأخيرة ملامح التوتر والترقب البادي على أبطال لوحاته، ولعل ذلك يرجع الي بداية خطواته الفنية الأولي، حيث لم تمضْ سوى أربعة أعوام علي تخرجه عام ١٩٧٦م. ليتم أعتقاله بين عامين ١٩٧٨م. حتى ١٩٨٠م. بسبب مواقفه السياسية والتي سافر على أثرها إلى "فرنسا" لمدة ٢٥ عامًا جاعلاً من منفاه الاختياري مُستقرًا وسكنًا يطمئن إليه بعيدًا عن بطش الأنظمة السياسية .. وبالرجوع إلي سيرته الذاتية نجد أنه لم يتيسر للفنان "عبدلكي" البقاء في "سوريا" فترةٍ كافية من الوقت، ومن ثم لا يُمكن لنا أن نتلمس سمات وخصائص إبداعه المُبكر صراحةً، إلا أننا نستطيع أن نكون صورة مبدئية من خلال قراءة أعماله الأولى ومن خلال مناظرته بأعماله معاصرية ومن خلال تصريحاته الصحفية.

.. وتأكيدًا للطرح السابق في قراءة أعماله الفنية .. نجد أنفسنا أمام مشروع تخرجه من كلية الفنون الجميلة حيث تتضح تلك الإرهاصات الأولى لسمات رؤيته الإبداعية .. حيث نرى عمله الفني المسمي" ثلاثية أيلول" ـ شكل(٨) ـ وهي عبارة عن ثلاث لوحات مُنفذة بالقلم الرصاص عام ١٩٧٦م. تُعبر من خلال مُسمياتها الثلاث (١-البدء/٢- التنفيذ/٣- الأمل) عن الصراع العسكري

العربي في تلك الفترة، حيث نرى في اللوحة الوسطى قائدًا عسكريًا بملامح غليظة وعنيفة وكأنه أحد الوحوش الضارية، بينما تقبع في الخلفية دبابات ومدافع تطأ عدداً من الجثث البشرية والجنود .. كما عمدت تلك الآليات العسكرية إلي توجيه فوهة مدافعها إلي الحشود المُتظاهرة من رجالٍ ونساء وأطفال في اللوحتين الجانبيتن. وعلي ما يبدو أن ذلك قد حدث بناءًا لتلك الوشاية الكاذبة الهامسة في أذن القائد العسكري من شخصٍ يرتدي زيًا عربي، في دلالةٍ إلى الفتنة التي استطاعت إشعال فتيل الحرب بين الأشقاء العرب بفعل ذلك المُندس مُثير الفتن.

أتى كل ذلك في عملٍ أقرب ما يكون إلى العمل الملحمي حيث ازدحم التكوين بالعناصر الميكانيكية المُتكدسة والمُتراصة للآلات العسكرية والتي احتلت مركز الوسط باسطةً أذرعها القاتلة في أرجاء العمل مُضيفًا لها تكثيفًا لمشاعر الكراهية من خلال التعبير عنها بخطوطٍ حادةٍ ومنكسرة مُؤكداً عمق ذلك الأثر من خلال الدرجات الداكنة المُهيمنة عليها، والتي تقابلت وتضادت مع تلك الخطوط المنحنية بإنسيابية مُرهفة تُعبر عن الضحايا الأبرياء من القتلي والمتظاهرين حيث اتخذت بعض سمات التجريد والتسطيح سبيلاً إليهم، مع احتفاظهم بصدارة الرؤية والمشاهدة من خلال تلك الدرجات الفاتحة والمساحات البيضاء المُسيطرة عليها .. حتي أضحو بماثبةِ مصادر الإضاءات المُتناثرة في أرجاء العمل .. ويمكن القول أن إنشغال الفنان بقضايا وطنه كانت بمثابة المُثير لعمله الفني ولنشاطه السياسي خلال سنواته الفنية الأولى.

شكل (٨)

- لوحة "ثلاثية أيلول (١-البدء/٢- التنفيذ/٣- الأمل)" للفنان "يوسف عبدلكي"
- قلم رصاص على ورق
- مقاس ١٢٢ سم x ٥٤٠ سم
- عام ١٩٧٦م.

.. بعد مرور حوالي ٢٥ عامًا على الفنان"عبدلكي" بـ"فرنسا" استطاع خلالها أن يغتنم ما استطاع من درسات فنية ذات طابع أكاديمي، لتكوين بمثابة عونًا له خلال مشواره الفني .. فقد حصل علي دبلوم الحفر من المدرسة الوطنية العُليا للفنون الجميلة بـ"باريس" عام ١٩٨٦م. ليحصل بعدها بثلاثة أعوام علي درجة الدكتوراه من جامعة "باريس" الثامنة عام ١٩٨٩م.. مُحدداً بعد ذلك مساره الإبداعي من خلال عدة مراحل فنية. اختار الغلبة فيها لفنون الرسم من خلال خامة الفحم الأسود والباستيل الأبيض مُتطرقًا بين الحين والآخر إلى بعض الخامات ذات الصلة بعمله الصحفي كرسام كاركاتير ورسوم مُصاحبة للمقالات الصحفية والأغلفة والمُلصقات وكتب ومجلات الأطفال.. وبالعودة إلي نشاطة الفني المُستقل خلال سنوات المهجر نجد أن الطبيعة الصامته قد شغلت حيزًا لا بأس به من اهتمامته وشغفه فقد اتخذت لديه معانً ودلالات إسقاطية .. حيث يُعبر عنها فيقول: «الطبيعة الصامتة والتي هي ليست في حقيقتها لا طبيعة ولا صامتة، نصِفها كذلك لتسهيل الحديث عنها، أنها أدوات لقول شيءٍ أبعد من الطبيعة الصامتة، شيءٍ له علاقة بمصائر الناس وقسوة الحياة حولنا. وبهذا التصادم المتواصل بين رقتنا كبشر وبين ظروفنا الحديدية التي تفوح منها رائح شواء الجسم البشري.»[١] .. ونستطيع أن نتلمس تلك المعاني السابقة في أحد أعماله التي تُعبر عن عود ثقاب مُحترق ـ شكل (٩) ـ حيث لا يتعدى الأمر سوى ذلك التكوين الفسيح المُحيط بعود الثقاب الذي يقف مُطأطأ الرأس في منتصف العمل، والذي على ما يبدو أنه بمثابة تعبيرٍ موازًا عن إنسان ذلك العصر المُنهك بالمآسي والأحداث، حتى أحنت تلك الصعاب والمشاق ظهره وجبينه، حتى أضحى محترقًا كعود الثقاب .. وعلى الرغم من بساطة العنصر والتكوين، إلا أننا نستطيع أن نتلمس بوضوح مهارة "عبدلكي" في دراسة التفاصيل الدقيقة لعنصر (عود الثقاب) يصعب إدراك تفصيلياته بالعين البشرية المُجردة.

.. ليقدم لنا عمل فني أقرب ما يكون إلي الدراسة الميكروسكوبية .. مُضيفًا إلى خلفية العمل تأثيرتٍ عرضية تتوازن وتتعادل مع القيم الرأسية لعودِ الثقاب، ولكسرِ تلك المعادلة البصرية للخلفية عمد الفنان إلى تزاحم بعض التهشيرات البيضاء المائلة مانحًا ملمسًا وثراءًا غنيًا لعمله الفني.

---

(١) مقالة بعنوان يوسف عبدلكي: من الجسد المحروق.. إلى جمالياته الفطرية ـ للكاتب السوري "صالح دياب" ـ موقع جريدة الحياة اللندنية ـ لندن ـ بتاريخ ٢٩ نوفمبر ٢٠١٧ .. (اقتباس) بتاريخ ١ يوليو ٢٠١٩م.
(http://www.alhayat.com/article/900933/يوسف-عبدلكي-من-الجسد-المحروق-إلى-جمالياته-الفطرية)

شكل (٩)
ـ لـوحـة "عود ثقاب" لـلـفـنـان "يـوسـف عبدلكي"
ـ أقلام فحم وبـاسـتيل أبـيض عـلى ورق
ـ عـام ٢٠٠٩م.

.. ومن أعماله ذات الطابع السياسي المُعبرة عن المآساة السورية بأسلوبٍ رمزي نري عمله المُسمي "القديس يوحنا الأنطاكي في دمشق" ـ شكل (١٠) ـ وهي من الأعمال ذاك الطابع الدرامي .. إذ تُمثل جثة القديس "يوحنا الأنطاكي Saint John Chrysostom"• (٣٤٩م.:٤٠٧م.) قد وضُعت عارية علي شاهد قبر إزدان بخطوطٍ رأسية. وقد ارتسمت علي وجه القديس نظرة حزينة، بينما أرتمت أطرافة بإسلوبٍ مسرحي .. ولطرح نبذ الطائفية الدينية المُصطنعة وتأكيدًا للوحدة الوطنية بين مسلمي ومسيحي "سوريا" قصد الفنان "عبد لكي" إلى كتابة عبارة "القديس ماريوحنا فم الذهب مُسجي في جامع الحسن بحي الميدان بدمشق" في خلفية العمل .. وقد كُتبت بإسلوبٍ حائطي مُستخدماً اللون الأحمر المُعبر عن الدماء المتساقطة والمُسالة على ذلك الجدار .. وحول رمزية تلك العناصر يُشير الفنان "عبد لكي" «إلى أن "يوحنا" فم الذهب هو بطريرك "أنطاكيا" في زمن الرومان، وهو يُشكل رمزية كبيرة في التاريخ المسيحي لمقاومته الظلم والطغيان .. أما جامع "الحسن" فهو رمز لسلمية الثورة السورية في بدايتها، ويبقي حي "الميدان"

• **يوحنا الأنطاكي:** هو "يوانوس خريسوستوموس". عرف باليونانية بـ"يوحنا فم الذهب" أو "يوحنا الفم الذهبي" لفصاحته. شغل منصب بطريرك "القسطنطينية" واشتهر كقديس ولاهوتي. كما يُعتبر قديسًا لدى جميع الطوائف المسيحية.

الذي هو عنوان العراقة ونضال السوريين ضد الاستعمار الفرنسي.»[١] .. ومن ثم جاءت كل تلك العناصر في تكوينٍ مسرحي بسيط غلبت عليه الإضاءات الخافتة والظلال الهادئة المُتدرجة. ولتأكيد الحس الثوري توخى الفنان "عبدلكي" الحرص في استخدام الخط الحُر للعبارة المكتوبة لتبدو كأحد الكتابات الحائطية الرافضة لقمع الأنظمة الحاكمة.

شكل (١٠)

- لوحة "القديس يوحنا الأنطاكي بدمشق" للفنان "يوسف عبدلكي"
- أقلام فحم وباستيل أبيض على ورق
- مقاس ١٥٠ سم x ٢٠٠ سم
- عام ٢٠١٣م.

.. ومن أعماله المُثيرة للجدل والتي أثارت حفيظة البعض تجاه ما يرسمه من النموذج البشري العاري إبان الصراع الدموي بـ"سوريا" .. يقدم الفنان"عبدلكي" رؤيته المغايرة لتلك البشاعة الإنسانية الحادثة، فيتحدث عنها قائلاً: « وجدت نفسي مُندفعًا لأرسم الوجه الآخر من الحياة، لأرسم وجه الجمال، ولم أجد شيئًا أرفع جمالاً من الجسد العاري بمعنى من معانى، العمل علي العاري هو

(١) مقالة بعنوان يوسف عبدلكي: لوحاتي إنسانية ولا تنحاز لأي تيار سياسي ـ للكاتب "خالد سامح" ـ موقع رصين الأخباري الإلكتروني ـ بتاريخ ٨ مارس ٢٠١٤م. .. (اقتباس) بتاريخ ١ يوليو ٢٠١٩م.
(http://rasseen.com/art.php?id=ade356961f4ff1cf5a3a842fdbea3863e739f018)

هروب من بشاعة القتل والتدمير وأحتجاجٍ عليهما في آنٍ واحد »[1] .. ونستطيع أن نلمح في مجموعة أعمال النموذج البشري العاري للفنان "عبد لكي" ذلك الحس الفني للجمال الأنثوي البعيد عن إثارات الشبقية الفنية• Erotic Art حيث تناقش أعماله بعدًا تشكيليًا بحتًا .. ويُعقب الفنان عنه مُستنكرًا ردود الفعل المُتوترة والمُنتقدة لأحدى مُعارضه بـ"دمشق" فيقول: « لم يلتفت أحد إلي علاقة الكتلة بالفراغ، كما لم ينتدبه أحد إلى علاقة الأدوات الفحمية البسيطة بالنتائج الهادئة أو المتوترة. لم ينتبه أحد إلى النساء اللواتي رسمتهن، فيغرقن في صمتهن بعيدات عن الشهوانية، كأنهن نساء فقدن روحهن النابضة، وتحولن إلى عناصر بسبب الانفصال عن الواقع والذهول تجاه أهواله.»[2] .. ويؤكد "عبدلكي" على أن الغرض من عرضه لتلك الأعمال بـ"دمشق" هو إثبات موقفه الرافض للأنظمة العربية ذات المرجعية الدينية المُروجة لإشكالية النموذج البشري العاري في حياتنا الثقافية والسياسية والتي تُحرم وتمنع دراسة الموديل العاري بكليات الفنون على الرغم من أهميتها لدارسي الفنون ناسبًا ضعف إبداع الكثير من خريجي كليات الفنون إلى إفتقادهم لأبجديات تلك المهارة الواجبة .. ومن أعمال تلك المرحلة نطالع أحدى لوحاته لفتاة سمراء عارية تجلس في وضعٍ خلفي ـ شكل (١١) ـ حيث احتلت منتصف العمل بينما تساقطت ظلال الجسد على أرضية العمل .. وأهم ما نلحظه في ذلك العمل هو ذلك التوازن الدقيق بين المساحات الرماديات والسوداء، مُبتعدًا قدر الإمكان عن استخدام الإضاءات البيضاء الناصعة من أجل إضفاء مناخًا ضبابيًا يُناسب ذلك الوضع المُستقر المُوحي بالانتظار والصمت العميق.

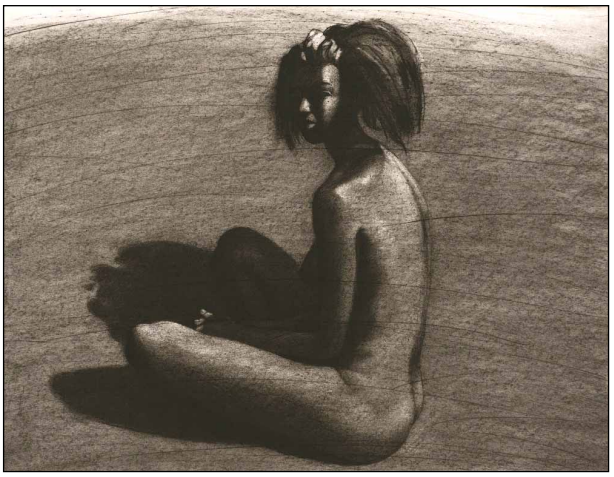

شكل (١١)

ـ لوحة "موديل عاري" للفنان "يوسف عبدلكي"
ـ أقلام فحم وباستيل أبيض على ورق
ـ مقاس ٥٠ سم x ٦٥ سم
ـ عام ٢٠١٦ م.

(١) مقالة بعنوان يوسف عبدلكي: من الجسد المحروق .. إلى جمالياته الفطرية ـ للكاتب السوري "صالح دياب" ـ موقع جريدة الحياة اللندنية ـ لندن ـ بتاريخ ٢٩ نوفمبر ٢٠١٧م. .. (اقتباس) بتاريخ ٥ يناير ٢٠١٩م.
(يوسف-عبدلكي-من-الجسد-المحروق-إلى-جمالياته-الفطرية/http://www.alhayat.com/article/900933)

• **الفن الشبقي:** هي الأعمال الفنية المثيرة الهادفة إلى إثارة الشهوة أو تصور مشاهد من النشاط الجنسي.

(٢) المرجع السابق ـ بتاريخ ٢٩ نوفمبر ٢٠١٧م.

وأخيرًا .. يُعلق الفنا ن "عبدلكي" على علاقة المكان (المهجر) بالإبداع وجدلية التأثر والتأثير طوال تلك السنوات فيقول: «"إن "باريس" التي عشت بها لم تُؤثر بشكلٍ مباشر على أعمالي .. فالسفر لا يمنح سوى فرصة المزيد من الاطلاع، والمزيد من مُراكمة الخبرة البصرية، فالمكان لا يوجد له أثر بأعمالي. إن أعمالي مَبعثها مُحرك خاص بي .. هذا المُحرك ينبع من داخلي" .. فهو كما يُؤكد يعتبر نفسه في حالة انتظار .. حيث لا سبيل سوى العودة للوطن .. فعلى الرغم من إقراره بأثر المكان على الفنان، إلا أنه يعتقد بأن القدرة على تعميق أو تصغير هوة المكان شأن فردي يختلف من فنانٍ إلى آخر .. مُشيرًا كذلك إلى اختلاف قدرة الأمكنة على تقبل أو رفض المُبدع. فالعمل الفنى يمكن أن يكون أحيانًا وطن الفنان وانتمائه .. إلا أن انتماء الفنان لوطنه حق لا يقبل التنازل أو الانتقاص.»(١)

● النتائج

• يمكن القول أن التجارب الإبداعية لفنانى البحث (الفنان العراقي "ضياء العزاوي") و(الفنان السوري "يوسف عبدلكي") .. قد تمتعت بخصائص خاصة خلال مرحلة المهجر .. إذ استطاعت التحرر من نمطية الأسلوب الشكلي الصريح المُرتبط بالموضوع الفني إلى التجريد التشخيصى المُرتبط بالتعبيرية المُتدفقة لدى الفنان "العزاوي" .. وإلى الرمزية الإسقاطية لمفردات وأبطال الأعمال الفنية للفنان "عبدلكي" .. ما يمكن تأويله ونسبه إلى طبيعة تنوع وثراء الحركات والاتجاهات الأوروبية المعاصرة .. ومن ثم قدرتهم على التواصل والتفاعل مع تلك التجارب الغربية .. ليستقر الأمر بالنسبة إلى نموذجي الدراسة البحثية (الفنان "العزاوي" ـ الفنان "عبدلكي") إلى توافق واتفاق .. يجمع بين القدرة على الاتصال بموروثات الثقافة الأصيلة وحداثة المعالجة والتناول الفني .. في سابقة نادرة الحدوث من حيث تشابه وتقارب النتاج الإبداعى لكليهما من حيث توازن المُؤثرات بين طرفي الحضارتين العربية والأوروبية على معطياتهما الإبداعية الناتجة.

• استطاع الفنان "العزاوي" أن يحتفظ بشخصية فنية ذات طابع خاص قادرة على الإمساك بجماليات الخط العضوي في ظل رغبةٍ مُلحة على تلخيص تلك الجماليات وتبسيطها إلى تجريد خطي وشكلي يجمع بين ثناياه قوة التعبير ورشاقة الأداء الموحي بزخارف عربية مُستترة داخل تلك التشابكات والتقاطعات الخطية المُتناثرة بأرجاء أعماله المرسومة في فترة ما بعد المهجر .. وهو ما

---

(١) حوار مكتوب لمُقابلة تليفزيونية مع الفنان التشكيلي "يوسف عبدلكى" ـ قناة الجزيرة ـ برنامج "موعد مع المهجر" ـ بتاريخ ١٢ فبراير ٢٠٠١م. ـ (اقتباس) بتاريخ ٦ ديسمبر ٢٠١٨م. ـ بتصرف ـ من موقع:
(http://www.aljazeera.net/programs/a-date-in-exile/2005/3/10/الفنان-التشكيلي-يوسف-عبدلكي)

يُمثل اختلافًا إبداعيًا من حيث الرؤية التشكيلية بينه وبين الفنان السوري "عبدلكي" الذي آثر التكثيف الرمزي لمفردات الطبيعة الصامتة أو الأشكال العضوية من أشخاص وطيور .. إلخ .. مُضفيًا عليها اهتمامًا لا يُنكر من حيث دراسة الظل والنور والتفصيليات الدقيقة المُعبرة عنها .. ليبدو لنا جليًا كيف أن ذاتية الفنان ورؤيته الخاصة هي بمثابة ذراع التوجيه ومُؤشر البوصلة المُوجه للأسلوبية المُتبناة.

• احتوت أعمال نموذجي البحث (الفنان "العزاوي" والفنان"عبدلكي") على تناقض واضح من حيث تطور المفردات والصيغ التشكيلية المُستخدمة في فترة ما قبل المهجر وما بعدها .. إذ تبدو أعمال الفنان "العزاوي" أقرب ما تكون إلى ذلك التنامي المُتصاعد والمُتطور لمعالجاته الخطية ذات الطابع الزخرفى .. فالعنصر الزخرفي لديه استحال في فترة ما بعد المهجر إلى تكوينات خطية تتداخل وتتحد مع كتلة الشخوص والعناصر المرسومة والتي نراها جليةً في أعماله الصرحية ذات الأبعاد البانورامية .. وبناءًا عليه .. يمكن الجزم بأن السمات الشكلية المُستترة للجذور العربية قد باتت عنصرًا غير فعال وغير قابل للقياس في ظل تنامى وتشعب الاتجاهات الفنية عربيًا وأوروبيًا .. بل وعالميًا.

● التوصيات

• ضرورة حث الأنظمة العربية الحاكمة (مُمثلة في وزارات الثقافة والإعلام) على إتاحة المزيد من حرية التعبير الإبداعى لكافة ممارسي ومتذوقي الفنون عامة والتشكيلية خاصةً، بحيث تصير المجتمعات العربية بمثابة بيئة حاضنة لمختلف التوجهات الفكرية والتيارات الاحتجاجية الرافضة لنمطية القوالب الإبداعية المُوجهة .. شكلاً ومضموناً .. ما يدفع ويعمل على قبول الجديد والمُبتكر من أشكال التعبير الفني القادرة على الإسهام في تطور الأسلوبيات والتقنيات الإبداعية المُستخدمة وكذلك الرؤى الفكرية المُصاحبة لها.

• التأكيد على ضرورة التواصل الحضاري مع المجتمعات الغربية (من خلال وزارات الثقافة والمَلاحق الثقافية التابعة لوزارات الخارجية وغيرها من الوزارات ذات الصلة).. وذلك من خلال إفساح المجال لمزيدٍ من الفعاليات المشتركة والزيارات المتبادلة، لوضع تصور أكثر وضوحًا لما يُمكن تسميته بـ"تفاهم وتفاعل الحضارات" لدرء النتاج السلبي الناجم من قناعة الريادة الغربية في مجال الفنون وضرورة التأثر والنهل من منابعها دون إدراكٍ واع لمنابع التراث الثقافي العربي بمختلف حضاراته المتنوعة والزاخر بعناصر الأصالة الإبداعية القادرة على بناء فنان مُتميز.

• يجب العمل على إفساح المجال البحثي لرصد وتوثيق التجارب الإبداعية العربية المهاجرة بـ"أوروبا" و "أمريكا" وغيرها من مناطق العالم (من خلال الدراسات الفنية النوعية الطابع الصادرة من الأكاديميات العربية المُتخصصة في مجال الفنون التشكيلية) .. للوقوف على سمات تلك التجارب ، وبالتالي الاستفادة منها في مجال الدراسات الفنية المقارنة، كمادة تعمل على تتبع الأثر التاريخي والحضارى .. للشخصية العربية ومدى قدرتها على الاستيعاب والتفاعل مع مختلف المؤثرات الإبداعية قديمًا وحديثًا.

● المراجع

• **ماجد موريس إبراهيم ـ** الإبداع ونظام الحكم ـ كراسة شرفات (١) ـ سلسلة تصدر عن وحدة الدراسات المُستقبلية بمكتبة الإسكندرية ـ ٢٠١٦م. ـ الإسكندرية.

• **مختار العطار** ـ الفنون الجميلة .. بين المتعة والمنفعة ـ سلسلة دراسات في نقد الفنون الجميلة (٧) ـ الهيئة العامة للكتاب بالتعاون مع الجمعية المصرية لنقاد الفن التشكيلي ـ الكتاب السابع ـ ١٩٩٤م. ـ القاهرة.

• **مختار العطار** ـ الفن والحداثة .. بين الأمس واليوم ـ دراسات في نقد الفنون الجميلة (٧) ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب بالتعاون مع الجمعية المصرية لنقاد الفن التشكيلي ـ الكتاب الأول/ يوليو/ أغسطس/سبتمبر ١٩٩١م. ـ القاهرة.

• **مراد وهبة** ـ المعجم الفلسفي ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ ٢٠١٦م. ـ القاهرة.

• **مُعجم مصطلحات الفنون الجميلة** ـ إعداد لجنة ألفاظ الحضارة ـ مجمع اللغة العربية ـ ٢٠١٦م. ـ الطبعة الأولى ـ القاهرة.

• **مقالات من شبكة المعلومات الدولية:**

• **مقالة بعنوان حوار المختلف والمتعدد .. أسئلة في ثقافة النخبة وثقافة الناس** ـ الكاتب العراقي "عواد علي" ـ مجلة الجديد اللندنية ـ العدد (٣) إبريل ٢٠١٥م.

• **مقالة بعنوان: "ضياء العزاوى" في بداية السبعينات** .. ضاقت "بغداد" بنا لنجد في "بيروت" و"الكويت" مختبرًا للمواهبة مع الآخرين ـ الكاتب العراقى "خضير الزيدي" ـ مجلة الفيصل ـ عدد شهرى (مايو ـ يونيه) ٢٠١٧م. ـ تصدر عن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ـ الرياض ـ العددان (٤٨٧) (٤٨٨) ـ موقع المجلة

(https://www.alfaisalmag.com/?p=5243)

• **مقالة بعنوان يوسف عبدلكي: من الجسد المحروق .. إلى جمالياته الفطرية** ـ للكاتب السوري **"صالح دياب"** ـ موقع جريدة الحياة اللندنية ـ لندن ـ بتاريخ ٢٩ نوفمبر ٢٠١٧م.

(يوسف-عبدلكي-من-الجسد-المحروق-إلى-جمالياته-الفطرية/http://www.alhayat.com/article/900933)

• **مقالة بعنوان يوسف عبدلكي: لوحاتي إنسانية ولا تنحاز لأي تيار سياسي** ـ للكاتب **"خالد سامح"** ـ موقع رصين الأخباري الإلكتروني ـ بتاريخ ٨ مارس ٢٠١٤م.

(http://rasseen.com/art.php?id=ade356961f4ff1cf5a3a842fdbea3863e739f018)

• **حوار مكتوب لمُقابلة تليفزيونية مع الفنان التشكيلي "يوسف عبدلكى"** ـ قناة الجزيرة ـ برنامج "موعد مع المهجر" ـ بتاريخ ١٢ فبراير ٢٠٠١م. ـ (اقتباس) بتاريخ ٦ ديسمبر ٢٠١٨م. ـ بتصرف ـ من موقع:

(http://www.aljazeera.net/programs/exile-in-date-a/2005/3/10/الفنان-التشكيلي-يوسف-عبدلكي)

• http://www.baheth.info/all.jsp?term=أبدع

مُلخص البحث

بما أن الإبداع الأصيل لا يتأتى إلا من فنان يستشعر ذاته ويؤمن بفرديته المتميزة .. مُستمدًا مصداقيته من عمق استيعابه لمكوناته الثقافية .. ولما كانت الهوية العربية للفنان التشكيلي ذو الأصول العربية جزءًا لا يتجزأ من التراكم الحضاري بداخله بمكوناتها الجغرافية والتراثية الضاربة في عمقِ التاريخ .. تاركةً أثرًا لا يُنكر في أبداعاته المرسومة.

ونظرًا لما يعانيه المواطن العربي من ظروف سياسية وإقتصادية صعبة منذ منتصف القرن العشرين الميلادي، وصولاً إلى تعاظم الأمر في تلك الأيام لتتجسد تلك الظروف الصعبة حروبًا وصراعاتٍ داخلية في السنوات الأخيرة .. لذا فقد آثر عدد لا بأس به الهجرة في أغلبِ الأمر بحثًا عن مناخٍ أكثر حرية وطمأنينة. وبطبيعة الحال كان الفنانون والأدباء من شُعراءٍ وكُتاب وممن على شاكلتهم من المبدعين في طليعة المهاجرون منذ بدايات منتصف القرن العشرين الميلادي وحتى يومنا هذا ..!

ومما لا شك فيه أن تلك الإبداعات الفنية بمختلف ضروبها والتشكيلية منها خاصةً قد تصادمت في أول الأمر مع حداثة الغرب، لتدخل تلك الإبداعات في صراعٍ تارة وتآلف مع تلك البيئة والثقافة المُغاير تارةٍ أخرى .. لتتخذ في نهاية الأمر مُعادلاً موضوعيًا جديدًا، يتسم نسيجه بالجمع بين أصولية الثقافة (من حيث النشأة) والحداثة الأوربية (من حيث المُعايشة في بلاد المهجر) .. لنقف وفق تلك الرؤا المُستحدثة على أعتاب مقارنةٍ إبداعية لأعمالٍ رُسمت في بلاد المهجر ولأخرى أنجزها ذات الفنانون في أوطانهم الأم قبل هجرتهم .. مثل: الفنان العراقي المُقيم بـ "لندن": "ضياء العزاوي" والفنان السوري المُقيم بـ"باريس" "يوسف عبدلكي" .. وغيرهم .. لنبدأ بحثنا عن أثر ذلك الرافد الغربي في أبدعاتهم، ومن ثم كيف استطاعوا الاستفادة منه دون السقوط في مستنقع غربة الإبداع شكلاً وموضوعًا وذلك من خلال منهج بحثي مقارن .. يعتمد على تحليل الأعمال الفنية المرسومة قبل وبعد المهجر للوقف على ملامح الأصالة ومدى التطور الطارئ عليها سلبًا أو إيجابًا.

الكلمات المفتاحية: رسم ـ أصولية ـ حداثة ـ أوروبا ـ مهجر ـ عرب

•**Abstract:** Authentic innovations are created by an artist who communicates with his inner self and appreciates his idiosyncrasies. His/her credibility and accreditation would be based on a deep absorption of the cultural components of the society. The identity of an artist of Arab ethnicity is an inseparable part of the cultural layers accumulated in him/her including the history-ancient geographical and heritage elements. This identity would have an undeniable influence in his/her artistic creations. As early as the middle of the twentieth century, Arab citizens have faced difficult economic and political circumstances which have escalated into civil disturbances and wars in the last years. Many could not cope with the repression of freedom and low living- standards and decided to escape these conditions through immigration in search for more freedom and security. Artists, authors and intellectuals were among the first community of immigrants since the beginnings of the twentieth century till now. This paper gives an outline of these innovative artistic creations and compares the creations drawn abroad with others done by the same artists at their homelands before immigration. The works examines here are for the artists: Dia Azzawi (Iraqi living in London), Youssef Abdelke (Syrian living in Paris) and many others. The paper seeks to delineate the western influence in the works of these artists. The methodology adopted on the comparison where the works of the artists pre- and after-immigration are analyzed to outline the eastern/western fundamental features and elaborate on the aspects of positive/negative development as evident in them.

Key Words: Drawing, Fundamentalism, Modernism, Europe, Immigrant, Arab